الاسكندر الأكبر (*)

تأليف الأستاذ أرنر وجال

نحن اليوم نستقبل الصبح من نهضة فنية مباركة ، تسرع شمسها نحو الشرق لتملأ الدنيا نوراً ودفئاً ، ونحن اليوم أشد ما نكون رغبة فى دراسة سير الأبطال ممن جادبهم التاريخ — والاسكندر شخصية داعة الدوى فى أسماع الزمن ، فلا يكاد التاريخ يحدثنا عن ملك اجتمعت له كل أسباب الشهرة كما اجتمعت للاسكندر ، فلقد شغل الكتاب والمؤرخين ، والباحثين ، والعلماء فى كل زمان ومكان ، ومن هؤلاء من رافقه من المهد إلى اللحد ، ومنهم من كان فى ركابه لما خرج من مقدونيا غازيا فلم تعظم عليه أشد البلاد بأساً وعناداً ، ومنهم من اضطلع معه بشئون السياسة والإدارة فخبر أساليبه وما قدر لها من نجاح أو فشل ، ومنهم من عنى بتدوين يومياته ومذكراته الخاصة وأقواله ، فكان منهم القسط وكان منهم المتحامل المتعصب الذى نرى فيه شاباً حالفته الشهرة ولم يسع لها سعيها وهو مؤمن. على أنه لم يكد ينتصف القرن الأول الميلادى حتى نشر الاسكندر أربعة بحوث هامة كتبها ديودور الصقلى وبومبى وأرفوس ولكن أوفاها ما كتبه بلوتارخ .

والمؤلف الذى بين أيدينا كتبه أستاذ كان مفتشاً عاماً للآثار بمصر وهو ممن تخصصوا فى دراسة تاريخ حياة شخصيات التاريخ اللامعة ، فنحن نعرف من مؤلفاته حياة أخناتون ، الخاصة « وهو إمام الموحدين فى العالم القديم ، « وحياة كليوباترا الخاصة » فاتنة الأجيال ، ونيرون ومارك أنطونيو ... وهو يتناول سيرة الاسكندر وبعض نسبه وموطنه ، ويصاحبه طفلاً غريراً ، وفتى يافعاً ، وشاباً طموحاً ، ومحارباً بطلا ، وسياسيا فذا ، وعاشقاً متزناً ، لا يصرفه الغرام عن الواجب ، وقائداً منصوراً لا يدفع به الظفر إلى الأسراف فى البطش .

ويشير المؤلف إلى النقطة التى بدأ عندها بحثه فيقول : بدأت بحثى من النقطة التى ظل يعتريها الغموض أجيالاً طوالا فلم أرها واضحة كل الوضوح فيما قرأت من مؤلفات ، تلك هى مشكلة ولادته . فلقد ظل يعتقد بأنه ابن للآله الأغريقى المصرى (زيوس آمون) ، ولعل هذا الاعتقاد قد أضفى على شخصه لونا من القدسية ظلت عالقة فى أذهان الناس قرونا بعد وفاته ، ففى بعض بلدان العالم كان ينظر إليه كآله حق مبين ... وفى بلاد الأغريق والرومان كانوا يعتقدون أنه الإله الثالث عشر لأسرة الأوليمب ، وتروى عنه أحاديث اليهود أنه كان خادماً ليهوه المبشر بالمسيح ، وصاحب عرش سليمان ، والمسلمون يرون فيه بطلاً وفقه الله ليحق الحق ويمحق الضلال ، وفى بعض كنائس المسيحيين كانوا يعتقدون أنه واحد من قديسيهم متجاهلين بذلك السبق التاريخى.

وينتقل بنا المؤلف إلى صبا الاسكندر ، ويوضح لنا كيف كان فى صباه فارساً مشغوفاً بالركوب والرياضة ، مليئاً بالثقة بنفسه ، كثير النقد لكبار رجال الدولة ، يطعن فى تصرفاتهم ، ويثبت أخطاءهم ، وهى صفات يقول عنها رجال التربية اليوم إنها من صفات النجباء المبرزين .

ويوضح لنا المؤلف ناحية دقيقة من حياة الاسكندر وأبيه ، والمجتمع الذى نشأ فيه ، فيقول : « ويلحظ الأب على ابنه الصبى أمارات الأنوثة » — لا يخطئها الناظر إلى تمثال الاسكندر الشاب المحفوظ بالمتحف البريطانى — « فهو مليح المحيا ، وضاح الجبين ، تجرى فى وجهه الأبيض حمرة خفيفة رائعة كالتى يراها المرء على وجوه فتيات الأغريق » إعتاد أن يميل برأسه بلطف ورقة ... له عينان ناعستان جذابتان ، يحب أشعار هوميروس حتى أطلقوا عليه (عاشق هوميروس) ... يهوى الموسيقى ويلعب بأنامله الرقيقة على أوتار القيثار فيخرج بها أنغاماً لينة ناعمة .

كان كل هذا مما يقض مضجع الأب ، فقد كان أشد ما يخشاه أن يمسى ابنه واحداً من غلمان مقدونيا ممن يتسرى بهم رجال الدولة ، ولو أنه هو نفسه كان أحد هؤلاء الرجال . ففكر ودبر ، وهداه طول التفكير والتدبير إلى أن يدفع به إلى أيدى أرسطو ليؤدبه ويعلمه الفلسفة والحكمة والعلوم العالية .

ويصاحبنا المؤلف إلى جلسات التلميذ من أستاذه الفيلسوف

(*) نشرة آيروسبوتزود بلندن ١٩٤٨ .

ويبين لنا جانباً من تعاليم أرسطو للاسكندر ، وكيف هضم الاسكندر هذه التعاليم وتشبث بها واستخدمها وصار يقضي بها للناس كلما حانت ساعة الإفاضة .

وفى سنة ٣٣٥ ق م كان الاسكندر قد بلغ الحادية والعشرين من عمره ، وكان قد خلص من توحيد ممالك شبه الجزيرة تحت التاج المقدوني ، وكان قد فرغ من حشد حملته التاريخية التي خلدت اسمه ، وانطلق بها يغزو امبراطورية الفرس في شرق الأرض

ومن أدق ما صوره لنا الأستاذ ويجال في كلامه عن الاسكندر السنة الأخيرة من حكمه ، فقد أحصى المؤلف على الاسكندر حركاته وسكناته ، وساعاته ولحظاته ، وأورد لنا نصوصاً من خطبه في جنده المتمرد ، وكيف تمكن بلباقته وحسن أدائه وسرعة خاطره من كبح جماحهم دون أن يذلهم ، وكيف كان الرجل صاحب فكرة ، فلم يكن فاتحاً تدفعه شهوة الفتح ، ولم يكن ملكاً يبغى الملك ويعشق السلطان ، بل كان هذا وكان يدين بمبدأ الأخوة العالمية والاندماج العنصري بين الشرق والغرب فأعد لجنوده حفلا كبيراً لتزويجهم من الفارسيات بالجملة ، واتخذ له بطانة من قادة السيف والعلم من الفرس وقربهم إلى نفسه فقرب إلى نفوسهم ، وأحبهم فعظم إخلاصهم له مما أحقد عليه أجناده المقدونيون .

ويحدثنا المؤلف عن بناء الاسكندر لأسطوله العظيم في ثغور المشرق ليدور به حول أفريقا ويعود من بوغاز جبل طارق إلى الاسكندرية ، فيكون قد كشف ما خفي من أقاليم العالم ، ويتم له توحيدها تحت تاجه . وكان الأسطول يرقب يوم السفر حينما أصيب الاسكندر بالحمى — لعلها الملاريا — وألحت عليه العلة وهو يصارعها بما جبل عليه من حب الصراع . إلا أن الاسكندر قد رقد ولم يطل رقاده أكثر من ثلاثة أيام ودع بعدها الدنيا وهو أكثر ما يكون شباباً وحيوية وأملا في إقرار عدل عالى ، ما أحوجنا اليوم قبس منه ...

والكتاب بحث من البحوث العلمية الدسمة ، فهو لا يترك شاردة ولا واردة من حياة الاسكندر إلا أحصاها ، وينقد المراجع القديمة والحديثة نقداً علمياً منزها ويخرج بالقارئ برأى المؤلف واضحاً لا غموض فيه ، وهو كتاب تاريخ لمن يحب التاريخ ، وكتاب أدب لمن يعشق الأدب ، وصفحة بطولة ومجد وفخار تهوى إليها كل الأفئدة .

اطلب الكتب الآتية

من إدارة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

١ ـ وحى الرسالة في مجلدين

ثمن كل مجلد ٤٠ قرش

٢ ـ دفاع عن البلاغة

ثمنه ١٥ قرش

٣ ـ آلام فرتر

ثمنه ٤٠ قرش

واطلب للأستاذ محمود الخفيف

١ ـ أحمد عرابى

ثمنه ٥٠ قرش

٢ ـ ابراهام لنكولن

ثمنه ٣٥ قرش

٣ ـ من وراء المنظار

ثمنه ١٥ قرش

٤ ـ تولستوي

ثمنه ٤٠ قرش